الباب الثالث

سيرة الزمخشرى

أ. حياة الزمخشرى

١. حياته ومصانفاته

نسبه، لقبه، مولده: هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى، الخوارزمي، جار الله، (فخر خوارزم). ولقبه الأشهر هو (جار الله) ، حيث غلب عليه، لمجاورته بـ (مكة) زمانا طويلا[٨٧].

ولد الزمخشرى بـ (زمخشر) إحدى قرى (خوارزم) ، وذلك يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب، سنة ٤٦٧ هـ[٨٨]

نشأته وطلبه للعلم: نشأ في بيت متدين يتدثر بدثار الصلاح: فالوالد رجل فاضل، شفوق بأبنائه، حبسه مؤيد الملك، فتوسل إليه الزمخشري أن يفك أسره، بقوله: [من الكامل]

أَكفى الكفاة مؤيد الملك الذي خضع الزمان لعزه وجلاله

[٨٧] الزمخشرى،**الكشاف**،(الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٨ م)، ط.١، ج.١ ص ١٢ تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض.

[٨٨] **المرجع نفسه**

إرحم أبي لشبابه ولفضله وارحمه للضعفاء من أطفاله

إرحم أسيرا لوراه من العدا أقساهم قلبا لرق لحاله

ويقول راثيا له بعد موته:[من البسيط]

فقدته فاضلا فاضت مآثره ألعلم والأدب المأثور والورع

صام النَّهار وقام الليل وهو شج من خشية الله كابي اللّوْن ممتقع

ولقد كانت أم صاحبنا عطوفة، رقيقة القلب، مجابة الدعاء، يحكي الزمخشري في ذلك فيقول: (كنت في صباي أمسكت عصفورا وربطته بخيط في رجله، فأفلت من يدي فأدركته وقد دخل في خرق، فجذبته فانقطعت رجله في الخيط، فتألمت والدتي، وقالت قطع الله رجلك قطعت رجله. وقطعت رجل الزمخشريِّ عندما سقط عن دابته.[٨٩]

نشأ الزمخشري في أسرة فقيرة، فوجدنا أباه يدفع به إلى خياط ليعلمه الخياطة، ولكن الزمخشري له رغبة في طلب العلم، فيستعطف أباه، قائلا له: (احملني إلى البلد واتركني بها)[٩٠]

[٨٩] **المرجع نفسه** ص ١٢

[٩٠] **المرجع نفسه**

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

ورحل صاحبنا إلى (بخارى) في طلب العلم، حيث كانت (بخارى) آنذاك كعبة العلماء، فأخذ من علمائها وتلميذ لجهابذتها.[٩١]

كما أن الزمخشري زار مدينة (مرو) ولقي بها الإمام السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ، وتنقل بين ((خوارزم)) وخراسان) محصلًا للعلم، فحصل أصول الفقه، والحديث، والتفسير، والكلام، وعلوم العربية.[٩٢]

دخل الزمخشري (مكة) – حرسها الله – فجاور بها، وكانت أولى رحلاته إليها سنة ٥٠٢ هـ، واتصل بشريفها علي بن حمزة وهاس وكان أديبا، فقويت علاقتهما

ولكن الزمخشري يخرج من مكة راحلا إلى وطنه الأول، ولكن ما لبث أن عاودته الحنين إليها، حتى صور ذلك في قوله:[من الطويل]

بكاء على أيام مكة إن بي إليها حنين النيب فاقدة البكر

تذكرت أيامي بها فكأنني قداختلفت زرق الأسنة في صدري

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

[٩١] **المرجع نفسه**

[٩٢] **المرجع نفسه** ص ١٣

وآخيرا عاد صاحبنا المعتزلي إلى ((مكة)) نحو عام ٥١٨ هـ، وفي عودته مر بـ((الشام)) ومدح صاحب((دمشق)) تاج الدين ت ٥٢٦ هـ[٩٣]. ويبدو أن جار الله كان مولعا ببيت الله الحرام: فإن أشهر مصنفاته وأعظمها قد صنفها بين زمزم والمقام: كتفسيره (الكشاف) وأطواق الذهب، ونوابغ الكلم، وربيع الأبرار، وأساس البلاغة وغيرها.[٩٤]

ولكن ما لبث الزمخشري بعد هجوم الشيخوخة عليه أن فكر في الأفول إلى وطنه الأول، فعاد معرجا في طريقه على (بغداد) ، وبها زاره أبو السعادات هبة الله بن الشجري ت ٥٤٢ هـ، حيث هنأه بقدومه، وأثنى عليه.[٩٥]

في (خوارزم) استقر الزمخشري الشيخ الكهل، حيث صار (فخر خوارزم) ومرجعها الأشهر.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

مصنفاته: ترك الزمخشري تراثا هائلا من التصانيف، في مختلف فنون العلم، نذكرها ههنا مرتبة على حروف المعجم.[٩٦]

١) أساس البلاغة(معجم يهتم بالمجاز والإستعارة)

---

[٩٣] **المرجع نفسه**

[٩٤] **المرجع نفسه** ص ١٣

[٩٥] **المرجع نفسه**

[٩٦] **المرجع نفسه** ص ١٥

٢) أطواق الذهب، أو النصائح الصغار (في الوعظ والرقائق)

٣) أعجب العجائب في شرح لامية العرب

٤) الأمالي في كل فن

٥) الأمكنة والجبال والمياه والبقاع المشهورة في أشعار العرب

٦) الأنموذج (مختصر من المفصل في النحو)

٧) تسلية الضرير

٨) تعليم المبتدي وإرشاد المهتدي (جمل في العربية وترجمتها بالفارسية للناشئين)

٩) جواهر اللغة

١٠) خصائص العشرة الكرام البررة

١١) ديوان التمثيل

١٢) ديوان الرسائل

١٣) ديوان الزمخشري

١٤) رؤوس المسائل (في الخلاف الفقهي بين مذهبي أبي حنيفة والشافعي)

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
IMAM BONJOL
PADANG

١٥) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار (مختارات شتي من الأدب والتاريخ والعلوم)

١٦) الرسالة الناصحة

١٧) سوائر الأمثال

١٨) شافي العي من كلام الشافعي

١٩) شرح أبيات كتاب سيبويه

٢٠) شرح بعض مشلات المفصل

٢١) شرح مقامات الزمخشري(النصائح الكبار)

٢٢) شقائق النعمان في حقائق النعمان (في مناقب أبي حنيفة)

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
IMAM BONJOL
PADANG

٢٣) صميم العربية

٢٤) ضالة الناشد في علم الفرائض

٢٥) الفائق (في غريب الحديث)

٢٦) القسطاس

٢٧) القصيدة البعوضية.(وأخرى في مسائل الغزالي)

٢٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في جوه التأويل (وهذا التفسير المشهور الذي نقوم بتحقيقه)

٢٩) الكشف في القراءت

٣٠) متشابه أسامي الرواة

٣١) المحاجاة في الأحاجي والأغلوطات

٣٢) مختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة

٣٣) مسألة في حكمة الشهادة

٣٤) المستقصى في أمثال العرب

٣٥) معجم الحدود

٣٦) المفرد والمركب (أو المؤلف)

٣٧) المفصل في تعليم النحو

٣٨) مقامات الزمخشرى

٣٩) مقدمة الأدب(معجم عربي فارس)

٤٠) المنهاج (في أصول الفقه)

٤١) نزهة المستأنس

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

٤٢) النصائح الصغار والبوالغ الكبار

٤٣) نكت الأعراب في غريب الإعراب

٤٤) نوابغ الكلم(حكم وأقوال)[٩٧]

وفاته: توفى رحمه الله تعالى ليلة عرفة سنة ٥٣٨ ثمان وثلاثين وخمسائة بجر جانية بعد رجوعه من مكة رحمه الله تعالى. (وجر جانية بضم الجيم الأولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الألف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة، وهى قصبة خوارزم) قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان: يقال لها بلغهم كر كانج فعربت، وقيل لها جر جانية، وهى على شاطئ جيحون[٩٨]

ورثاه بعضهم بأبيات، ومن جملتها:

فأرض مكة تذرى الدمع مقلتها حزنا لفرقة جار الله محمود

والله المحمود، والمصلى على سيدنا محمد وآله وأصحابه

٢. شيوخه وتلاميذه

[٩٧] **المرجع نفسه** ص ١٥-١٧

[٩٨] الزمخشرى،**الكشاف**،(دار الفكر: مكتبة العبيكان، ١٩٩٨ م)، ج ٤، ص ٣١٠

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

قديما قالوا:((مَنْ دَخَلَ فِي الْعِلْمِ وَحْدَهُ خَرَجَ وَحْدَهُ)) ويعنون بها أن من لم يكن له شيخٌ ملا يفلح. ولقد كان عصر الزمخشري عصر أشياخ علم وأساطين فنون، فرأيناه يتلمذ لكثير منهم، نذكر هنا أبرزهم[٩٩]:

١)أبو مضر، محمود بن جرير الضبي، الأصفهاني ت ٥٠٧ هـ، وهو مدخل مذهب الاعتزال إلى (خوارزم) وأخذ عليه النحو والأدب، ورثاه الزمخشري قائلا:[من الطويل]

وقائلة ما هذه الدرر التي تساقطها عيناك سمطين سمطين

فقلت: هو الدر الذي قد حشابه أبو مضر أذني تساقط من عيني

٢)أبو الحسن علي بن المظفر النيسابوري، الضرير

٣)السديد الخياطي. أخذ عنه الفقه

٤)أبو السعد الجشمي: المحسن بن محمد بن كرامة، البيهقي، ت ٤٩٤ هـ

٥)ركن الدين محمد الأصولي، وأخذ عنه الأصل

٦)أبو منصور نصر الحارث، أخذ عنه الحديث

٧)أبو الخطاب، نصر بن أحمد بن عبد الله البَطِر، ت٤٩٤ هـ

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

[٩٩] المرجع السابق ص ١٤

٨)أبو الحسين، أحمد بن علي الدامغاني، ت ٥٤٠ هـ

٩)أبو منصور الجواليقي، موهوب بن أبي طاهر، ت ٥٣٩ هـ، وغير هؤلاء كثير تخرج بهم الإمام الزمخشري.[١٠٠]

تلاميذه: تلمذ لجار الله الزمخشري طائفة كبيرة من طلاب العلم، حتى تخرجوا به فصاروا أئمة في اللغة وآدابها وعلوم الشرع المطهر.[١٠١]

وكان منهم من برز في علوم كثيرة، نذكر أشهرهم.

١) علي بن عيسى حمزة بن وهاس العلوي

٢) علي بن محمد العمراني، الخوارزمي، أبو الحسن الأديب، الملقب بـ (حجة الأفاضل وفخر المشايخ) ت ٥٦٠ هـ

٣) أبو الفضل البقالي الخوارزمي الآدمي، محمد بن أبي القاسم بايجول، الملقب بـ (زين المشايخ). وقد جلس مكان الزمخشري بعده

٤) أبو يوسف يعقوب بن علي محمد بن جعفر البلخي، كان أحد أئمة النحو والأدب.[١٠٢]

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

---

[١٠٠] **المرجع نفسه** ص ١٤

[١٠١] **المرجع نفسه**

[١٠٢] **المرجع نفسه** ص ١٥

وقد أجاز الزمخشري لكثير من طلبة العلم في عصره، والذين صاروا أئمة أعلام، مهنم أبو طاهر الخشوعي، والأديب الوطواط.

٣. اراء العلماء فيه

اراء العلماء فيه منها: أولا، حملة ابن القيِّم: ثار ابن القيم على الزمخشرى من أجل تفسيره الاعتزالي، فنراه يذكر ما فسر به الزمخشرى قوله تعالى: وَلَوْ شِئْنَا لرفعنه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هوئه. الأعراف: ١٧٦، ثم يقول: فهذا منه شنشنة نعرفها نعرف من قدري ناف للمشيئة العامة، مبعد للنجعة في جعل كلام الله معتزليًّا قدريًّا[١٠٣].

ثانيا، الشيخ حيدر الهروي : هذا، وإن نيل الكشاف هذا الإعجاب والتقدير حتى من خضومه، لدليل واضح على قيمة هذا السفر وعلو قدره. ثالثا، قولة أبي القاسم بن بشكوال : الكشاف يعد أول كتاب في التفسير كشف لنا على سر بلاغة القرآن، وأبان لنا عن وجوه إعجازه، وأوضح لنا عن دقة المعنى الذي يفهم من التركيب اللفظي. كل هذا في قالب أدبي رئع، وصوغ إنشائي بديع، لا يتفق لغير الزمخشرى إمام اللغة وسلطان المفسرين.[١٠٤]

---

[١٠٣] **المرجع نفسه** ص ٢٦

[١٠٤] **نفس المراجع** ص ٣٠

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

رابعا، حملة ابن خلدون: عقد ابن خلدون في مقدمته فصلا في علوم القرآن من التفسير والقراءات وذكر فيه كلاما في تفسير كتاب الله، وكان من قوله: ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشرى من أهل خوارزم العراق، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض في آي القرآن من طرق البلاغة، فصار ذلك للمحققين من أهل السنة انحرف عنه، وتحذير للجمهور من مكامنه[١٠٥]

ومن مميزات هذا التفسير[١٠٦]

١) خلوه من الحشو والتطويل

٢) سلامته من القصص الإسرائيلي غالبا، وإذ ذكر بعضه فإنه قد يفنّده، كما فعل في قصّة داود وسليمان، ولكن وجدت فيه بعض الموضوعات التى لا تدرك بالعقل، وإنما يعملها أئمة الحديث ونقاده. وذلك مثل: الحديثِ الطويل المرويِّ في فضائل السور، سورة، وكذلك ما روي: في قصّة السيدة زينب بنت جحش، وحاول تبريره، وقد يذكر بعض الإسرائيليات، ولا يفنّدها، مثل ما ذكره: في

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

[١٠٥] **نفس المراجع** ص ٢٨

[١٠٦] **نفس المراجع**

قصّة يأججوج ومأجوج، بل ذكر هنا حديثا موضوعا على النبيّ صلى الله عليه وسلم، وسأتناولُ ذلك بالتفصيل فيما يأتي، إن شاءَ الله تعالى

٣) اعتماد في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم في الخطاب

٤) عِنَايَتُهُ الفائِقَةُ بالإبانة عن أسرار الإعجاز القرآنيّ بطريقة فنيَّة قائمة على الذوق الأدبي

٥) اتباعه طريقة السُّؤَالِ: (إن قُلْتُ- بفتح التاء)، ويقول في الجواب: (قُلْتُ:بضم التاء) وهي طريقة من طرق التشويق، في التعليم وترسيخ المعاني في النفس

ب. منهج الزمخشري في تفسير الكشاف

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

طريقنا هنا في تناول منهج الزمخشري في تفسير القرآن هو تبين ملامح شخصية الزمخشري العلمية منعكسة من تفسيره، والشخصية العلمية كل لايتجزأ فيها من الفطرة وفيها من الإكتساب إن علما وثقافة أو تجربة وأحداثا. وهي على كل حال تكوين معقد أشد تعقيد مركب أيما تركيب هذا شأن الشخصية العلمية في ذات نفسها فكيف بالأمر

إن حاولنا أن تتصح أمامنا أن صورة منها في مرآة عمل علمي؟ إن المهمة تصبح أشق وأدق[١٠٧].

ونحن إذ نعالج الشخصية العلمية من مؤلف لها علمي فلن نستطيع أن نجزئ كلها المركب فنقول هذا الجزء منها أدبي وذاك ععلمي وثالث ديني وهكذا لأنها ككل ذات عناصر متماوجة مختلطة متحدة ولكن نفترض أن الشخصية العلمية التي نعالجها أشبه بالوجه تسلط عليه ريشة الرسام فمرة تبرز عينيه أدق إدق إبراز ومرة تبرز أنفه وثالثة شاربيه وهكذا تنتقل بين أجزاء الوجه لاتغادر سمة من سماته أو خصيصة من خصائصه وأجزاء الوجه المصورة بعد مجموعة هي الوجه كله. وسبيلنا هنا هو سبيل ريشة الرسام فنسلط الضوء مرة على جانب من شخصية الزمخشري العلمية المتعددة الجوانب ومرة أخرى على جانب ثان وثالث هكذا. وهذه الجوانب كلها مضمومة بعضها إلى بعض ممتزجة بعضها مع بعض هي شخصية الزمخشري العلمية كما عكسها تفسيره إلينا.[١٠٨]

وليكن الجانب الأول الذي نعنى بإبراز تقاسيمه وتقاطيعه هو شخصيته كمعتزلي مفكر إذ يتناول التفسير والجانب الثاني هو شخصيته كمفسر أثري والجانب الثالث شخصيته كعالم لغوي ورابع الجوانب شخصيته كنحوي وخامسها كعالم بالقراءات

[١٠٧] مصطفى الصاوي الجويني، **منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه**،(شركة ديناميك أوتاما جاكرتا)، ص ٩٢

[١٠٨] **المراجع نفسه**، ص ٩٢

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

واختلافها وليكن الجانب السادس شخصيته كفقيه والجانب السابع كأديب وثامن الجوانب شخصية الزمخشري كمربي روحي ومصلح اجتماعي.[١٠٩]

أما عن شخصية الزمخشري كمعتزلي فذالك جانب غلاب على كل الجونب الأخرى في تفسيره ظاهر عليها أشد ظهور وهذا الجانب بعينه نحن أن نفرعه إلى فرعين أما أحدهما فهو التفكير العام وأما الثاني فهو الإعتزال الصرف ذلك لأن المعتزلة آمنوا بالعقل وقدسوه ورفعوه فوق السمع فآثرنا أن نعرض للزمخشري كرجل مؤمن بالعقل أولا دائن بمذهب الإعتزال ثانيا والناحيتان معا تمثلان الزمخشري المعتزلي المفسر.[١١٠]

١. الزمخشري المفسر العقلي

ما منزلة العقل عند الزمخشري؟ إنه كغيره من المعتزلة مؤمن بالعقل مقدس له يقول:" امش في دينك تحت راية السلطان ولاتقنع بالرواية عن فلان وفلان. فما الأسد المحتجب في عرينه أعز من الرجل المحتج على قرينه. وما العنز الجرباء تحت الشأل البليل أذل من المقلد عند صاحب الدليل" لأن العقل قبل السمع والسمع منبه للعقل من غفلته، يقول عند الآية (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فإن قلت: الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه

[١٠٩] **المرجع نفسه**، ص. ٩٣

[١١٠] **المرجع نفسه**، ص ٩٣

واستيجابهم العذاب لإغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها إلا بالتوفيق والعمل بها لا يصح إلا بعد الإيمان، قلت:بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت إلينا رسولا ينبهنا على النظر ففي أدلة العقل[١١١].

وفي معنى سبق العقل للشريعة يقول عند الآية: (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) فإن قلت: قد علم أن رسول الله صلى عليه وسلم ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله (ولا الإيمان) والأنبياء لايجوز عليهم إذا عقلوا وتمكنوا من النظر والإستدلال أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده، ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها نتفير قبل المبعث وبعده فكيف لايعصمون من الكفر؟ قلت: الإيمان إسم يتناول أشياء بعضها الطريق إليه العقل وبعضها الطريق إليه السمع فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل وذاك ماكان له فيه علم حتى كسبه بالوحي ألا ترى أنه قد فسر الإيمان في قوله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) بالصلاة لأنها بعض ما يتناوله الإيمان وقد يرى العقل صوابا ثم يخطئه السمع، ويقول الزمخشري في الآية (قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا) المتحدثة عن وعد إبراهيم أباه

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

[١١١] **المرجع نفسه**، ج١، ص ٥٤٥-٥٤٤

بالإستغفار له، فإن قلت كيف جاز له أن يستغفر للكافر ويعده بذلك؟ قلت: لقائل أن يقول إن الذي منع من الإستغفار للكافر إنما هو السمع فأما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز أن يكون الوعد بالإستغفار والوفاء به ورود السمع بناء على قضية العقل[١١٢].

وقد تختلف الشرائع في شيئ العقل لا يأباه كالتصوير والنحت. يقول الزمخشري في الآية (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل) فإن فلت: كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير؟ قلت هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لأنه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب[١١٣].

والشيئ قد يكون حلالا من طريق السمع ثم العقل يأباه يقول الزمخشري وقد صنف شيخنا أبو على الجبائي قدس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ وأخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فأبى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعاوة فسمج في المروءة[١١٤].

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

[١١٢] **المرجع نفسه**، ج ١، ص ٩

[١١٣] **المرجع نفسه**، ج ٢، ص ٢٢٧

[١١٤] **المرجع نفسه**، ج ١، ص ٥٣١

والعقل عند الزمخشري سبق السنة والإجماع والقياس مادام يسبق السمع: يقول في الآية (وتفصيل كل شيئ) يحتاج إليها في الدين لأنه القانون الذي يستند إليه السنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل.[١١٥]

هذه إذا هي مرتبة العقل عند المعتزلة وعند الزمخشري والعقل آلة الزمخشري حين يفسر يجول بها في النص كاشفا منقبا وهو لا يقنع بظاهر المعنى القرآني الذي لا يعد شيئا بجانب تدبره واستبطان معانيه ويقول هو عن تدبر القرآن:" وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لأن من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها.[١١٦]

ولهذا نراه كثيرا ما يقف أمام النص القرآني وفقة عقلية يبرزها في صورة نقاش يبين فيها الجهد العميق الذي بذله مفكرا مستبطنا المعاني يقول مثلا عند الآية (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) فإن قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى؟ قلت جعلوا لتمكنهم منه وإعراضهم له كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها ولأن الدين القيم هو فطرة الله التى فطر الناس عليها فكل من ضل فهو

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

[١١٥] **المرجع نفسه**، ج ١، ص ٤٩٠

[١١٦] **المرجع نفسه**، ج ٢، ص ٢٨٣

مستبدل خلاف الفطرة[١١٧]. وهو يتبع في تأملاته العقلية هذه أحدث المناهج العلمية فيضع نصب عينيه كل احتمالات المعارضة والمحاجة فيما أمامه من نص يفسره ويناقشه. وقول في الآيات (ويقتلون النبيين بغير الحق) فإن قلت قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق فما فائدة ذكره؟ قلت معناه أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الأرض فيقتلوا وإنما نصوحهم ودعوهم إلى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سألوا وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم[١١٨]. ويقف عند الآية (وما كنت لديهم غذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) قائلا فإن قلت لم نفيت المشاهدة وانتفائها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الأنباء من حفاظها وهو موهوم؟ قلت كان معلوما عندهم علما يقينا أنه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبقى إلا المشاهدة وهي في غاية الإستبعاد والإستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع عملهم بأنه لا سماع له ولا قراءة

ومع وقفاته العقلية هذه فإنه حينا يقف أمام بعض الآي مبهورا من القدرة الإلهية قد تقاصر عقله وتضائل يقول عند الآية (الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام) وأما الداعي إلى هذا العدد أعني الستة دون سائر الأعداد فلا ننشك أنه داعي

---

[١١٧] **المرجع نفسه**، ج ١ ص ٣٠

[١١٨] **المرجع نفسه**، ج١، ص ٥٩

حكمة لعلمنا أنه لا يقدر تقديرا إلا بداعي حكمة وعن كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي إلى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا والأررض كذالك والصلواتت خمسا وأعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والإقرار بدواعي الحكمة في جميع أفعاله وبأن ما قدره ما حق وصواب وهو الإيمان[١١٩].

وحينا آخر يشطح بعقله فيضع الرسل تحت مجهر العقل ناقدا لأنهم بشر وتند منه عبارات لا تلق به في حق رسل الله. يقول مثلا في الآية:(عفا الله عنك) كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت[١٢٠] وهذا مناف للأدب في حق الرسول محمد.

ويقول في حق النبي نوح في الآية (قال يا نوح أنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين) وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ووعظه أن لا يعود إليه وإلى أمثاله من أفعال الجاهلين[١٢١].

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

---

[١١٩] **المرجع نقسه**، ج ٢، ص ١١٣-١١٤

[١٢٠] **االمرجع نفسه**، ج ١، ص ٣٩٦

[١٢١] **المرجع نفسه**، ج ١، ص ٤٤٤

٢. الزمخشري المفسر المعتزلي

الناحية الثانية للشخصية الزمخشري هي شخصيته كمعتزلي، وفيها يبدو الزمخشري مفسرا للقرآن بعاطفته نحو الإعتزال ينظر الزمخشري إلى القرآن نظرة عامة فيجعل الآي المناصرة ظواهرها للمذهب الإعتزالى محكمة وتلك التي تخالفه متشابهة ثم يرد المتشابه إلى المحكم ليخضع تفسيرها للرأي لإعتزالي وهذا النحو في التفسير هو ما يعرف بالتأويل. يقول عند الآية (هو الذي أنزل الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات): محكات أحكمت عبارتها بأن حفظت من الإحتمال والإشتباه. متشابهات متشبهات محتملات. (هن أم الكتاب) أي أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها. ومثال ذلك (لاتدركه الأبصار)(إلى ربها ناظرة) والآية (لا يأمر بالفحشاء)(أمرنا مترفيها)[١٢٢]

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

إذن، هنا أن المحكم من الآي في رأيه يورده قبل المتشابه فالآية (لاتدركه الأبصار) يعين ظاهرها المعتزلة على رأيهم في أن الله لا يرى، والآية (لا يأمر بالفحشاء) تظاهر رأي المعتزلة في عدل الله فهو لا يفعل القبيح ولا يأمر به، والآيتان بعد محكمتان أما الأخريان فمتشابهتان.

[١٢٢] **نفس المرجع** ، ج ١، ص ١٣٦

٣. الزمخشري المفسر النقلي

كان الزمخشري مفسرا أثريا فهو يجئ بالأسباب المعينة على تجلية النص وتفسيره منها معرفة أسباب النزول وهو قد يورد في تفسيره سبب النزول ومناسبته مناسبته مسندا الرواية إلى أصحابها فيقول مثلا في الآية: (أن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها...) عن الحسن والقتادة: لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله عز وجل هذه الآية[١٢٣].

٤. الزمخشري اللغوي

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

صورة أخرى نلمحها من تفسير الكشاف عن الزمخشري، صورة العالم اللغوي. فهو يعرض للفظ القرآن عرضا عرفته العرب في معاني منطقها لأن القرآن عربي ومعانيه معانيه معاني كلام العرب. يقول في الآية (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان) البقرة: ١٧٨، قلت: هلا فسرت عفي بترك حتى يكون

[١٢٣] **المرجع نفسه**، ج ١ ص ٤٦

شيئ في معنى المفعول به؟ قلت : لأن عفا الشيئ بمعنى تركه ليس ولكن أعفاه ومنه قوله عليه السلام: واعفوا اللحى فإن قلت: فقد ثبت قولهم عفا أثره إذا محاه فهلا جعلت معناه فمن محى له من أخيه شيئ ؟ قلت: عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتات والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا من ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ إذا أعضل عليه تحريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها[١٢٤].

٥. الزمخشري النحوي

وأما عن شخصية الزمخشري كعالم نحوي فهو حين يعرض للقرآن من الوجهة الإعرابية لا ينساق وراء صناعته النحوية كالنحويين فيحيف على جانب المعنى وإنما يجعل همه المعنى حيثما كان هناك تقدير إعرابي فنراه يبين الأحكام النحوية وما وراءها من فروق معنوية. فهو يعالج النحو القرآني من الناحية التي تخدم تفسير القرآن وتنسيق معانيه. يقول في الآية: (وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون) مناقشا لما رفعت (ينصورن)

[١٢٤] **المرجع نفسه**، ج ١، ص ٧٧

ولم لم تجزم وتأثر المعنى في الحالتين ثم يبين علام عطفت (ينصرون) ليدرجها في نسقها المعنوي يقول: فإن فلت هلا جزم المعطوف في قوله (ثم لا ينصرون) قلت: عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار إبتداء كأنه قيل: ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. فإن قلت فأي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى ؟ فلت: لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الأدبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كأنه قال: ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون متنف عنهم النصر والقوة لاينهضون بجناح ولا يستقيم لهم أمر وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فإن قلت: فما الذي عطف عليه هذا الخير ؟ قلت: جملة الشرط والجزاء: كأنه قيل: أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون[١٢٥].

٦. الزمخشري الأديب

والزمخشري كأديب تطالعنا شخصيته من ثنايا تفسيره فهو إن فسر أديب ذواقة للمعنى وجماله. وللأسلوب وحلاوته وإن وإن فضل قراءة فضلها لجمال معناها وأسلوبها وإن عرض للنحوي عرض له عرض من يقدر الجمال المعنى ولفظا، ويقول في الآية: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) فإن قلت: لم يأتهم العذاب في الغمام؟

[١٢٥] **المرجع نفسه**، ج ١، ص١٦٢

قلت: لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم من أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف الشر أذا جاء من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثمة اشتد على المفكرين في كتاب الله قوله تعالى (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون)[١٢٦]

إذن، الزمخشرى هو مفسر العقلي ومفسر المعتزلي ومفسر النقلي ومفسر اللغوي ومفسر النحوى ومفسر الأديب ايضا

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
IMAM BONJOL
PADANG

[١٢٦] **المرجع نفسه**، ج. ١، ص ١٠١